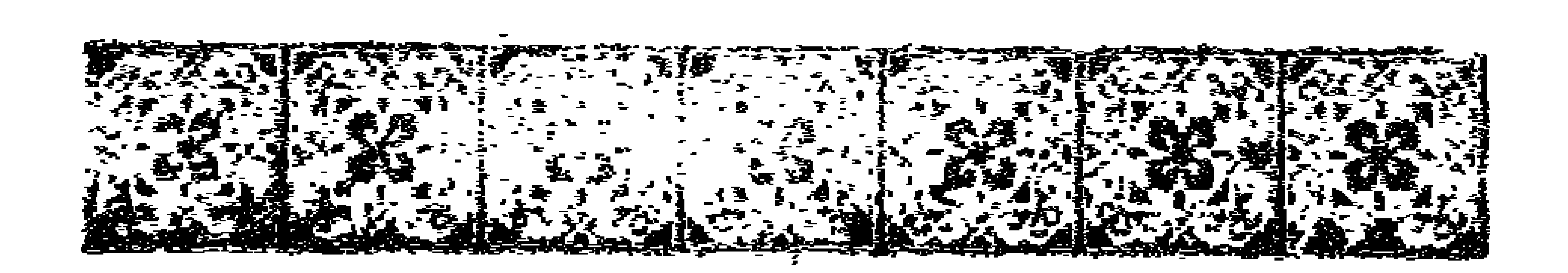
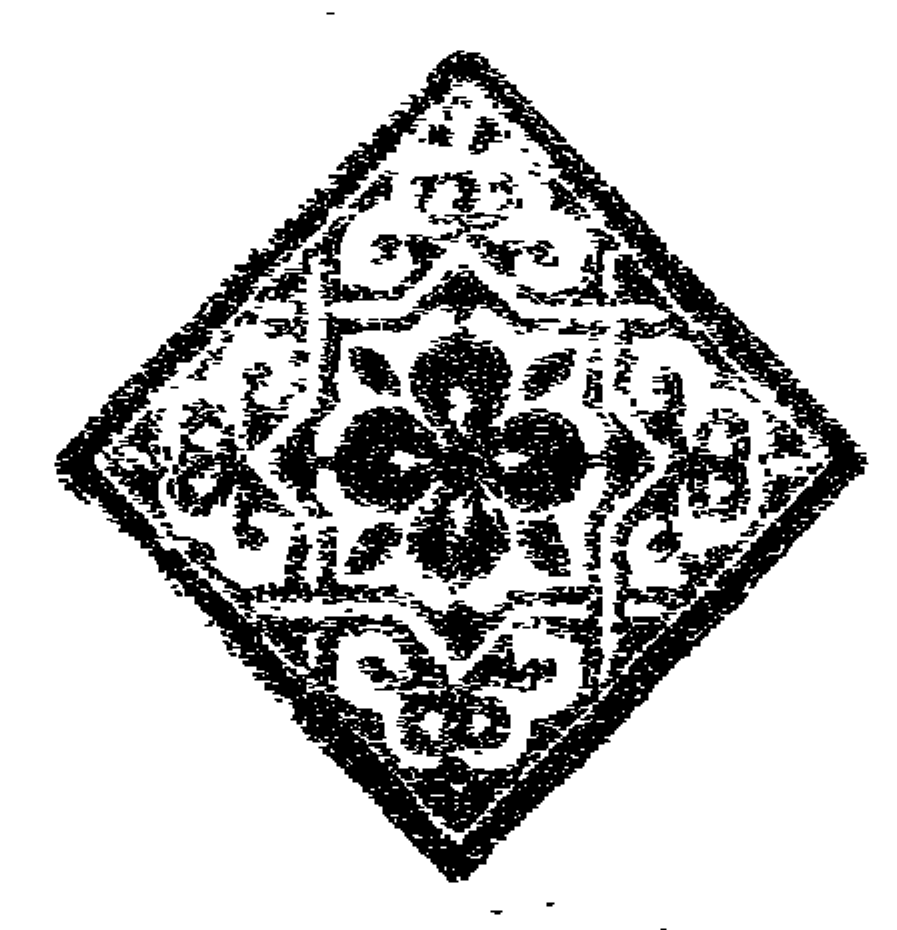
الدكتور محمد البهي

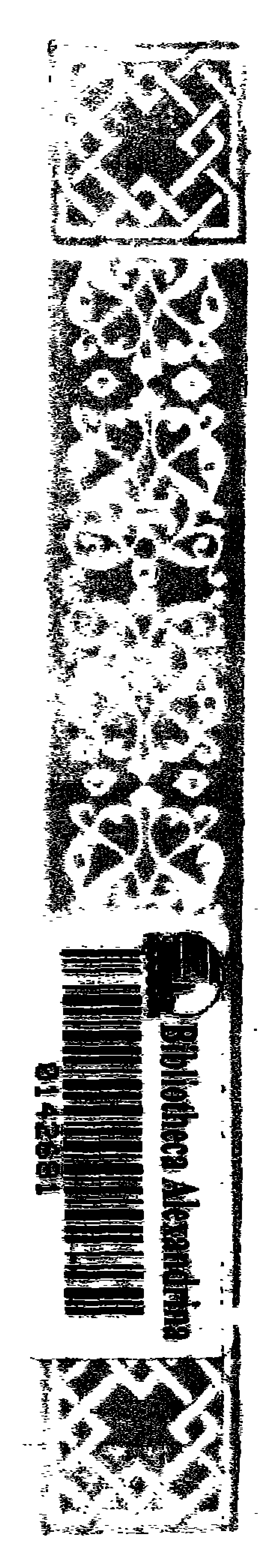


الإسلام كنظام للحياة





يطلب من: مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٩٣٧٤٧٠



الدكتور محمد البهي

الإسلام كنظام للحياة

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الثانية

رجب سنة ١٤٠٢ هـ ـ ابريل سنة ١٩٨٢ م

دار التضامن للطباعة
٢٢ شارع سامي ـ ميدان لاظوغلي
القاهرة ـ تليفون ٣٠٥٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الاسلام كنظام للحياة

الاسلام :

الاسلام هو رسالة الله للبشرية كافة « **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » (١) ٠

« **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ٠ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** » (٢) هو رسالة الله للعرب والعجم ، سواء من كانوا وقت ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم : أم من جاءوا بعده الى يوم الدين « **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم** » (٣) ٠

---

(١) الجمعة : ٢ (٢) المائدة : ١٥ ، ١٦
(٣) الجمعة : ٣

هو رسالة الله لتوجيه الانسان : كطبيعة أعدها الله على خلق خاص وميزها على سواها مما خلق · **« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »** (١) هو للطبيعة البشرية ، سواء عاشت هذه الطبيعة فى الصحراء ، أم على قمم الجبال أم على شواطىء البحار والأنهار ، أم فى الشرق أم فى المغرب أم فى الشمال أم فى الجنوب : هو رسالة الطبيعة البشرية أينما كانت ومتى وجدت ، ليهديها الطريق السوى ، ويجنبها الوهم والخرافة فيما تتجه اليه **« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله »** (٢) ·

والاسلام فى توجيهه للانسان اذن يجب أن يكون متفقا مع خصائص طبيعته : يعترف بانها طبيعة انسان ، ويعمل على أن تبقى طبيعة انسان · لا يحاول أن ينقل الانسان من طبيعته الى طبيعة ملك ، كما يحول دون أن تتحول الى طبيعة حيوان · الانسان فى الاسلام بشر ، ويبلغ بالاسلام أعلى درجة البشرية ·

لهذا كان الاسلام نظاما لحياة الانسان الذى لا يستطيع أن يبلغ مبلغ الألوهية ، حتى لو كان رسولا مصطفى من ربه **« قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد ··· »** (٣) قل

---

(١) الاسراء : ٧٠ (٢) التوبة : ٣٣
(٣) الكهف : ١١٠

سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » (١) ونظاما لحياة الانسان الذى لا ينبغى أن ينحط عن طبيعته التى يتميز بها عن غيره ·

وهنا نرى الاسلام يدخل بتوجيهه جميع جوانب الحياة الانسانية · يدخل بتوجيهه :

(ا) فى نظافة الانسان فيحمله على غسل بعض أعضاء جسمه عدة مرات فى اليوم ، وعلى غسل جميع جسمه فى مناسبات خاصة ، ويحثه على أن يحتفظ بنظافة ثوبه وبدنه وفمه عند الاجتماع واللقاء ، على نحو ما يحدث فى صلاة الجمعة · يدخل بتوجيهه :

(ب) فى غذاء الانسان وشرابه · فيحرم عليه بعض ألوان الطعام ، كما يحرم عليه بعض أنواع الشراب « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به** » (٢) · « **انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » (٣) · ينصح الانسان عندما يبتغى أن يتناول طعاما أو شرابا أن لا يتناوله الا اذا شعر بالحاجة اليه ، وبالمقدار الذى يسد به حاجته « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين** » (٤) · «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع» · يتدخل بتوجيهه :

---

(١) الاسراء : ٩٣ (٢) المائدة : ٣
(٣) المائدة : ٩٠ (٤) الأعراف : ٣١

(جـ) فى ملبس الانسان • فيحرم على الرجل لبس الحرير وأن يختتم بالذهب • ويحرم على المرأة أن تثير الفتنة فى ملبسها وزينتها « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن** ••• » (١) •

يتدخل بتوجيهه :

(د) فيما يتسلى به الانسان • فيحرم عليه ما يثير أعصابه أو يتلفها ، كالقمار فى صوره المختلفة «**انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » (٢) •
بينما ينصحه بما ينشط بدنه وعقله ويزيل عنه السآمة والملل . كمباشرة الرمى والعدو ، فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم يرمون بالسهام فقال : « ارموا بنى اسماعيل ، ان أباكم كان راميا » وقال « كل لهو ابن آدم باطل الا مداعبته أهله . وتأديبه فرسه » • وكان صلى الله عليه وسلم يسابق عائشة رضى الله عنها فيسبقها مرة ، وتسبقه أخرى •

يتدخل بتوجيهه :

(هـ) فى معاملة الانسان للانسان ، فان كان الانسان أبا أو أما نصحه بعدم الافتتان بالولد • « **واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة** ••• » (٣) وان كان ابنا نصحه برعاية علاقته بأبيه وأمه رعاية تقوم على الوفاء ، وعلى المحافظة على الشعور الكريم نحوهما،

(١) النور : ٣١ (٢) المائدة : ٩٠
(٣) الأنفال : ٢٨

وتجنب ما يؤذى نفسهما من قرب أو بعد « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا** » (١) ، « ... **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** » (٢) . وان كان زوجا بالاحسان فى المعاشرة وفى المفارقة على السواء « **فامساك بمعروف أو تسريح باحسان** » (٣) وان كانت زوجة نصحها بأن تؤدى ما يجب عليها لقاء ما يجب لها . « **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** » (٤) . وان كان ذاقرابة نصحه بتقديم المساعدة لقريبه مهما نازعته فى ذلك نفسه « **وآتى المال على حبه ذوى القربى** » (٥) . وان كان ذا جوار نصحه بمشاركة جاره فى سرائه وضرائه ، وعلى الأقل بأن يؤمنه من أذاه : عن ابن أبى شريح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن : قيل : من يارسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه (شروره وأذاه) » .

وعنه صلى الله عليه وسلم « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » .

وان كان راعيا حمله مسئولية الرعاية والقيادة « كلكم راع ، وكل راع مسئول عن رعيته » .

وان كان ذا عهد أمره بالوفاء بالعهد « **وأوفوا بعهد الله اذا**

---

(١) النساء : ٣٦ (٢) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤
(٣) البقرة : ٢٢٩ (٤) البقرة : ٢٢٨
(٥) البقرة : ١٧٧

عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » (١) .

وان كان ذا تجارة أمره بالقسطاس المستقيم وبالعدل فى المبادلة **«وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم» (٢)،«ولاتبخسوا الناس أشياءهم » (٣) .**

وان كان ذا شهادة أو قضاء أمره بالعدل مهما كانت الدوافع والظروف ... « **واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (٤) . « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ..» (٥) .**

يتدخل الاسلام بتوجيه :

(و) فى عبادة الانسان لله فيوجهه الى أن المعبود اله واحد لاشريك له **«قل الله أعبد مخلصا له دينى» (٦) « ذلكم الله ربكم ، لا اله الا هو ، خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل . لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (٧) .**

---

(١) النحل : ٩١ (٢) الاسراء : ٣٥

(٣) الأعراف : ٨٥ ، هود : ٨٥ ، الشعراء : ١٨٣

(٤) الأنعام : ١٥٢ (٥) المائدة : ٨

(٦) الزمر : ١٤ (٧) الأنعام : ١٠٢ ، ١٠٣

ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »(١)
يتدخل بتوجيهه أخيرا :

(ز) فى رفع الانسان نحو أسمى صورة من صور الانسانية • وهى صورة الانسان الذى لا تتحكم فيه شهوة المال والفرج • ومن لا تتحكم فيه شهوة المال والفرج ، هو الذى خشى ربه ، وآمن بجزائه، وعبد ربه دون انقطاع ، وأعطى دون أن يسأل ، وحفظ حرمة الغير سرا وعلانية ، وأوفى بعهده ان عاهد ، وصان الأمانة ان اؤتمن عليها، وأدى الشهادة فى غير مواربة **« ان الانسان خلق هلوعا • اذا مسه الشر جزوعا • واذا مسه الخير منوعا • الا المصلين • الذين هم على صلاتهم دائمون • والذين فى أموالهم حق معلوم • للسائل والمحروم • والذين يصدقون بيوم الدين • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، ان عذاب ربهم غير مأمون • والذين هم لفروجهم حافظون • الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون • والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون • والذين هم بشهاداتهم قائمون • والذين هم على صلاتهم يحافظون • أولئك فى جنات مكرمون » (٢) •**

***

نرى الاسلام هنا يتدخل بالتوجيه فى حياة الانسان الخاصة والعامة • ينهاه عن هذا ويأمره بذاك • يتدخل فى أمر نظافته ،

---

(١) النحل : ٣٦ • (٢) المعارج : ١٩ ـ ٣٥

وفى غذائه وشرابه ، وفى ملبسه ، وفى وسائل تسليته ، وفى معاملته لغيره ، وفى عبادته لربه • وحياة الانسان أينما كان وفى أى مكان وجد ، هى تلك الحياة ذات الألوان العديدة : فلماذا كانت عناية الاسلام بالانسان الى هذا الحد ؟

أكان يوجد هناك خطر على الانسان لو تخلى عنه الاسلام كلية ، أو لم يبد له النصح والتوجيه فى بعض جوانب حياته ؟ • لماذا لم يدعه الاسلام مثلا يفعل ما يريد فى خاصة نفسه : فى شأن نظافته ، وغذائه ، وكسائه ، وما يتسلى به ؟ أهناك ضرر عليه وحده أو على غيره معه لو تركه بدون توجيه فى حياته الخاصة ؟ •

كل هذه أسئلة يجاب عنها ، لو تبين أن توجيه الاسلام كان ضرورة للانسان وفق طبيعته الخاصة •

الانسان يشتهى ، وأعد فى الوقت نفسه لأن يكون ذا قيادة يقود بها ذاته ويقود بها ما عداه من الكائنات الأخرى • الانسان طبيعة لها دوافع الأنانية ، ومع ذلك لها ميل الى الاجتماع •

الانسان يشتهى،وما يشتهيه لبطنه وفرجه،والانسان ذو قيادة، ومركز قيادته الفؤاد وهو سره وسبب تميزه • فلو استرسل الانسان فى طلب ما يشتهيه لعاش لبطنه وفرجه،وأخضع ما له من ميزة القيادة لتحقيق شهوة البطن والفرج • وعندئذ يصبح انسانا يشتهى فقط • يحاول أن يملأ البطن ويلبى رغبة الفرج • لا يتخير ما يملأ به بطنه ولا ما يلبى به رغبة فرجه • وانسان يندفع ولا يختار يجنى على

نفسه أولا ، لا لأنه فقد خاصة الاختيار بين الضار والنافع ، بل لأنه لا يستطيع الآن أن يقف عند حد · يسلك مندفعا كل طريق معوج أو مستقيم ، ويستخدم مضطرا كل وسيلة ضارة أو نافعة · لا يعرف خطا معينا لسيره ، ولا يسأل عن صالح وغير صالح فيما يتناوله من أكل وشرب ، ولا عن ضار وغير ضار فيمن يتصل به اتصالا جنسيا · يرى الهلاك فيما يذهب اليه وليست لديه مقاومة : يرى فى نوع معين من الأكل والشراب حسب احساسه الباطنى وتجربته الشخصية ، أنه مزعج له ان أكله أو شربه ، ومع ذلك لا يستطيع أن يمتنع عن أكله وشربه · ويرى فى اتصال جنسى معين أنه يسبب له ضررا فى صحته ، ومع ذلك لا يستطيع أن يغالب رغبته الجنسية · هو انسان ضعيف المقاومة والمغالبة فى مواجهة شهوته · استكان لشهوته فوهنت ارادته وعزيمته ، وخضع لبطنه وفرجه ، وأغفل أمر القيادة فيه فخلا قلبه الا من الشهوة ، وتحرك تفكيره كما تحركت قدماه فى سبيلها وحدها · هو انسان ميت فى صورة حى ، وعليل فى صورة مصح ، وهزيل فى صورة قوى ·

هذا من جانب · من جانب آخر الانسان أيضا له طبيعة تدفعها الأنانية ، ولكن مع ذلك لها ميل الى الاجتماع بالآخر ، اذ المجتمع للانسان وحده ، دون غيره من الكائنات التى تتحرك بدافع الغريزة وحدها ، وهى كائنات الحيوان ، فلو ترك الانسان نفسه لدوافع الأنانية وحدها عندما يتصرف أو يأتى بعمل ، لكان انسانا لايعترف بوجود غيره وعندئذ لا يفقد حاجته عند غيره فحسب ، بل سيصطدم

بوجود هذا الغير معه ، لأن وجوده معه حقيقة واقعة غير منكرة ، وهو الآن انسان يعتدى كما يعتدى عليه · يعتدى على غيره ، لأنه لايعترف به ، ويعتدى عليه ، لأن غيره كذلك لايعترف بوجوده ·

والنتيجة التى تترتب على ترك الانسان من غير توجيه ومن غير تدخل فى رسم خطوط السير لحياته الخاصة والعامة — هى فقدان الارادة والشخصية الانسانية · فقدان المقاومة والمغالبة ، فقدان التمييز والاختيار ، ثم الخصومة والاحتكاك والاعتداء المستمر ·

ولذا — لأن الانسان قد أعد من طبيعته وخلقه لأن يكون ذا شخصية وارادة من جانب ، وذا ميل اجتماعى من جانب آخر — كانت رسالة الاسلام لمعاونة هذه الطبيعة ، ولانماء ما لها من ارادة وميل اجتماعى · كانت رسالة الاسلام تخطيطا للطريق الذى يوصل الانسان الى أن يكون ذا ارادة وذا قوة واستطاعة للمقاومة والمغالبة ، وذا مشاركه اجتماعية · كانت رسالة الاسلام لايقاظ الوعى بالذات ، والوعى بالمجتمع معا · اذ أضرار البشرية هى فى فقدان ارادة الأفراد ، وانعدام المشاركة الاجتماعية بينهم ·

* * *

الاسلام فى توجيه الفرد والمجتمع

والاسلام اذن جاء لاتقاء هذه الأضرار البشرية • واتقاؤها — كما ذكرنا — فى تنمية ارادات الأفراد وتأكيد روابط المجتمع بينهم • وهو بذلك رسالة توجيه ذى شقين : للفرد والمجتمع •

وهنا نسأله كيف يدفع الاسلام هؤلاء الأفراد عن طريق التوجيه ؟ • كيف يجعل الفرد ذا ارادة ، وكيف يجعله ذا مشاركة قوية بمجتمعه ؟ •

لنستعرض صور العبادة فى الاسلام • لنستعرض الصلاة والصوم ، والزكاة والحج • لنستعرض الصلاة والتوجه الى الله سبحانه وتعالى خمس مرات فى اليوم ، والصوم شهرا فى العام من الفجر الى غروب الشمس • ولنستعرض الزكاة وهى اقتطاع جزء من مال المزكى عن اقتناع الى صاحب الحاجة • والحج وهو اجتماع لعشرات الآلاف من المسلمين فى مكان واحد وفى وقت واحد ، على جبل عرفات عند غروب شمس اليوم التاسع من ذى الحجة،متجردين من كل ما يميز بينهم من مظاهر الدنيا ، ومتجهين بدعاء واحد الى رب واحد ، مشتركين فى ايمان واحد • أجسامهم عديدة ولكن قلوبهم قلب واحد ، وأبصارهم شاخصة الى الله وحده ، فاذا ما نزلوا من عرفات وطافوا بالكعبة أحاطوا بقبلتهم جميعا ، التى تنمحى فيها فواصل الشرق والغرب ، والجنوب والشمال فى المكان والاتجاه•

فاذا استعرضنا الصلاة والصوم من صور العبادة جاء بها

الاسلام · أدركنا أنهما عبادتان لتنمية شخصية الفرد ، لتقوية ارادته واستطاعته على المقاومة والمغالبة · فالصلاة وهى مناجاة لله وحده خمس مرات فى اليوم ، فى واقع أمرها تفريغ القلب من زخرف الدنيا وزينتها ، لأن لقاء المصلى بالله جل جلاله فيها لاتعدله متعة من متع هذه الدنيا ، وما فى الدنيا هو شهوة البطن والفرج · وهناك ندرك قول الله تعالى: «**ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**»(١) · وليس هناك فحش ولا منكر الا فيما تشتهيه البطن والفرج · واذا استخف المصلى بمتع هذه الدنيا فى مواجهة لقاء المولى سبحانه وتعالى فى منـاجاته وصلاته ، فى تكبيره وتسبيحه ، فى ركوعه وسجوده ـ فانه لا شك سيحد من رغباته وشهواته ، واذا مالت نفسه عن الانطلاق الى الحد ، فانه سيتخير عندما يشتهى · سيتخير عندما يأكل ويشرب · وسيتخير عندما يريد أن يتصل اتصالا جنسيا بغيره · وعندئذ يصبح انسانا ذا اختيار وتحديد، يصبح انسانا يأخذ النافع ويترك الضار · وتلك نتيجة الصلاة : « **تنهى عن الفحشاء والمنكر** » ·

والصوم ـ وهو حرمان البطن والفرج فى الدرجة الأولى ـ حرمانا تاما فى فترة معينة ـ هو العبادة المباشرة لتنمية الاختيار والارادة ، وقوة المغالبة والمقاومة ، اذ الصوم صراع بين ما تلح فيه شهوة البطن والفرج وبين حرمانهما من ذلك · هو صراع فيه مقاومة ومغالبة · فاذا صام الانسان شهر رمضان من كل عام

---

(١) العنكبوت : ٤٥

انتصر فى مقاومته ومغالبته • وانتصرت معه الارادة على شهوة البطن والفرج • وانتصر العزم والتصميم على التردد والضعف والتبعية • وهنا ندرك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تقدير الصوم فيما يرويه عن ربه : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » •

واذا استعرضنا بعد ذلك عبادتى الزكاة والحج نجدهما ـ على نحو ما وصفنا ـ تطبيقا عمليا لروح الجماعة التى أيقظتها صلاة الجماعة فى الأوقات الخمس كل يوم ، وفى الجمعة كل أسبوع، وفى العيدين كل عام • كلتاهما ينطوى على هذه الروح ، وكلتاهما يزيد فى قوتها وتأكيدها بالسعى والعمل •

واذن صور العبادة التى رسمها الاسلام وفرضها على المسلمين فى فترات الزمن التى حددها ، أو فى المكان الذى عينه من صلاة وصوم وزكاة وحج ـ هى صور لتدريب النفس البشرية على أن تحصل ما أعد لها بطبيعتها من قوة الارادة وسبيل الاختيار من جانب ، وما كان لها من خاصة الاجتماع وروح المشاركة الجماعية من جانب آخر • وبذلك تتمكن من الحد من الاندفاع فى طريق شهوة البطن والفرج ، فتقى نفسها أخطار الاسترسال والتبعية ، كما تتمكن من رؤية الغير فتعترف بوجوده وتؤاخيه بدل أن تحتك به وتخاصمه •

العبادات كما حددها الاسلام هى لتنمية الفرد كانسان ،

وبالتالى هى لوقايته من أضرار نفسه ، ومن عدوان غيره عليه أو عدوانه هو على غيره • هى لتهذيب الفرد وصقله ، واقامة المجتمع وبقائه :

وربما لا يبدو واضحا أن المجتمع يقام ويبنى ، وأنه وضع طارىء على وجود الأفراد • وأن اقامة المجتمع وبناءه يتوقف على ايقاظ الروح الجماعية وتقوية الميل الى الاجتماع عند الأفراد • وطالما لاتوقظ روح الجماعة بين أفراد من الناس ، فهم مجموعة من البشر لم يرتق أمرهم الى أن يصير مجتمعا • ولذلك وجود المجتمع آية على تحضر أفراده ، آية على ان وعيهم الجماعى تيقظ، وأن شعور المشاركة عندهم فى الغاية والمصلحة قد أخذ طريقه الى الظهور فى الحياة العملية • وغاية ما تسعى اليه البشرية الخالصة هى اقامة مجتمع لا يرتكز على القبلية ، ولا على الشعوبية ، وانما على خصائص الانسانية وحدها ، التى تتمثل فى السلم فى العلاقات العامة ، والاطمئنان وعدم الاضطراب فى الحياة الخاصة •

والاسلام بتوجيهه ـ كما رأينا عن طريق العبادة ـ يسعى الى اقامة المجتمع الانسانى ، والى نزع العدوان والاعتداء من العلاقات العامة ، والى تمكين الاطمئنان فى الحياة الخاصة • ولهذا كانت نظرته الى الناس نظرة واحدة « **ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » (١) وكانت رسالته الى الناس جميعا

---

(١) الحجرات : ١٣

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (١) • وكانت عبادته متجهة بالأفراد الى اطمئنانهم أولا ، والى سلمهم فى علاقات بعضهم ببعض ثانيا •

وبعد ما أيقظ الاسلام روح الجماعة فى الأفراد عن طريق العبادة ، واقام بذلك بينهم مجتمعه ـ وهو المجتمع الاسلامى ـ أحاط هذا المجتمع بسند قوى كى يبقى ، وكى يستقر فى بقائه • أحاطه بتأكيد النهى عن الاعتداء والعدوان « **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » (٢) • وكى لاتصل النفس الى التفكير فى الاعتداء ، فضلا عن مباشرته ، أمر بالعدل ، والاحسان ، وبايتاء ذى القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى• أمر بالعدل فى جميع صوره : فى الشهادة وفى الرواية ، وفى الحكم والفصل • وأمر بالاحسان فى جميع صوره : بالمال ، والصحة ، والعلم والجاه • ونهى عن الظلم فى جميع صوره : وهى كل مايؤذى النفس والبدن والملك والحرمة الشخصية • ونهى عن الفحشاء والمنكر فى جميع صورهما : وهى كل ما لا ترضى عنه النفوس ويستقبحه العرف والوضع فى المجتمع •

وبهذا : المجتمع الاسلامى مجتمع سلم ، وعدل ، واحسان • مجتمع يستقبح الفواحش والرذائل والعدوان • فهو مجتمع خلقى فاضل •

---

(١) الأعراف : ١٥٨ (٢) المائدة : ٢

ولكنه ليس بمجتمع استسلام ، ولا مجتمع طغيان • ليس مجتمع استسلام يقبل اللطمة ، فيسلم ، ولكنه مجتمع يدفع اللطمة باللطمه **«فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم»**(١) •

وليس مجتمع طغيان ، يغريه الانتصار على مجتمع آخر فينسيه مبادىء الانسانية فى معاملته « **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين** » (٢) • « **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى** » (٣) •

* * *

وهنا نرى أن رسالة الاسلام اطار للانسان الحى والمجتمع القوى • للانسان ذى الارادة والعزم ، وللمجتمع العطوف المتواد المتآخى ، ولكنه المجتمع الأبى الذى لا يقبل الضيم والذل •

للانسان المسلم رسالة فى الحياة هى أن يكون ذا ارادة ، وللمجتمع الاسلامى رسالة هى أن يحقق العدل والسلم ، ويدفع الأذى والعدوان • ورسالة المسلم مقدمة لرسالة المجتمع الاسلامى • اذ لا يتحقق عدل ولا سلم فى مجتمع ، ولا يدفع أذى وعدوان من مجتمع الا اذا كان أفراده ذوى ارادة • ذوى مراس على الكفاح ذوى قوة على المثالية •

---

(١) البقرة : ١٩٤ (٢) الممتحنة : ٨
(٣) المائدة : ٨

ليست رسالة المسلم ـ من وجهة نظر الاسلام ـ أن يعيش ليأكل وينسل ، وانما رسالته أن يأكل وينسل ، ليكون ذا قوة وغلبة « أخشى أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة الى قصعتها، قالوا : أمن قلة نحن يارسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل » •

وليست رسالة المجتمع الاسلامى أن يعيش للترفيه ، وانما رسالته ان يكافح فى سبيل القيم ، يكافح فى سبيل العدل ، ودفع الظلم والاعتداء ، يكافح فى سبيل الترابط والتآخى ، ورابطة الاسلام فوق رابطة القبيلة ، وأخوته فوق لحمة الدم • هى قبل كل شيء رابطة المبادىء وأخوة الأهداف والغايات المشتركة •

***

ان رسالة الاسلام ليست تخطيطا اجتماعيا من انسان ، وليست طريقا من طرق التربية وضعه فرد من البشر • لو كان كذلك ما صلح هذا التخطيط الاجتماعى للناس كافة ، وما صلح هذا الطريق من طرق التربية لغير فئة من الناس • هى تلك التى أقام فيها ذلك المربى • فالانسان هو الانسان • محدد ببيئته ، وبوراثته ، وبنشأته ، وبعوامل التأثير فى جو اقامته • ولذا تفكيره يعبر عن محدوديته ـ ومن هنا كانت صلاحيته ـ ان صلح ـ لمن عاش فى هذه البيئة ، وتأثر بعوامل الوراثة الخاصة والنشأة المعينة •

ان الاسـلام وحى الله العليم بكل شىء « **وهو بكل شىء عليم** » (١) هو تعاليم الله الخالق لكل موجود ، وفوق كل انسان « **وهو القاهر فوق عباده** » (٢) انه ممن وسع كرسيه السموات والأرض • فصلاحيته اذن للناس جميعا •

ان الاسلام ليس معرفة • انه ايمان وتقوى ، انه ايمان بالله ، وخشية من الله ، وتقوى الله • وهذا الايمان هو مصدر الدفع فى الانسان نحو اطمئنان نفسه ، ونحو وعيه بالمجتمع ، ونحو اسهامه فى بقاء المجتمع واستقراره •

الاسلام منحة الهية « **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** » (٣) • هو منحة الله لعباده لا يكفر بها الا الجاحدون •

هذا هو الاسلام كنظام للحياة • هو نظام للحياة الانسانية الفاضلة المطمئنة المستقرة • هو نظام لحياة الفرد والمجتمع معا • أساسه النظرة الى الانسان على أنه طبيعة تشتهى ولكن لها قيادة، وتستجيب لدوافع الأنانية ولكن لها ميل الى الاجتماع وقابلية نحو المشاركة الجماعية •

وتوجيه الاسلام يقوم على تنمية ارادة الفرد ليأخذ زمام الأمر بيده ، فلا يندفع اندفاعا كما يندفع الحيوان والآلة • ويقوم

---

(١) البقرة : ٢٩ (٢) الأنعام : ١٨ ، ٦١
(٣) المائدة : ٥٤ ، الحديد : ٢١ ، الجمعة : ٤

على تنمية الوعى بالمجتمع ، وعلى صيانة هذا المجتمع من الانحلال والتدهور والضعف ، حتى يكون مجتمعا قويا فاضلا .

نظرة واحدة هى أساس تعاليم الاسلام وأهداف ثلاثة هى الغاية من توجيه الاسلام .

* * *

الاسلام بعد ذلك ليس مسئولا عن ضعف المسلم وخضوعه لشهوته ، وليس مسئولا عن ضعف روابط المجتمع الاسلامى أو انحلاله ، وانما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام ، والانحراف فى تطبيقه . كتاب الله ليس مسئولا عما يستورد من الشرق والغرب من فكر فى التوجيه . وانما المسئول عن ذلك سوء فهم الاسلام والانحراف فى تطبيقه .

وسوء فهم الاسلام والانحراف فى تطبيقه لا يسئل عنه نفر معين من المسلمين ، انما المسلم ما دام قد ارتضى لنفسه أن ينتسب الى الاسلام — عليه أن يؤمن أولا بقلبه بالله ، فاذا آمن حقا بالله عرف الطريق الصحيح اليه « **واتقوا الله ، ويعلمكم الله** » (١) .

ترد بضاعة من الشرق وأخرى من الغرب . بعضها يدعو الى الالحاد ويكفر بالانسانية وبقيمها .

---

(١) البقرة : ٢٨٢

وبعضها الآخر يدعو الى الطغيان : طغيان المال على القيم الانسانية ، وطغيان النار والحرب والقوة المادية على حق الشعوب فى الحرية والحياة ·

واسلامنا لا يتصل بالشرق أو الغرب ، لأنه يقوم على الايمان بالله ، وعلى تمجيد القيم الانسانية ، وعلى مكافحة الطغيان فى أية صورة · اننا لسنا شرقيين ولا غربيين ، اننا مسلمون · أننا دعاة الايمان بالله وحده وبالقيم الانسانية الفاضلة · اننا مجندون من ديننا لمقاومة الطغيان ، واحلال العدل والسلم محله ·

ان اسلامنا لا يعرف طبقات فى مجتمعه·لايعرف مجتمعا يقوم على أرستقراطية المال والشرف ، كما لا يعرف مجتمعا يقوم على خصيصة العمل البدنى وحده · ولكن يعرف التفاضل بين أفراده على أساس من توجيهه · « **ان أكرمكم عند الله أتقاكم** »(١)· ولذا لا يقر أن تتحكم طبقة فى طبقة ، ولا طائفة فى طائفة ، لأنه لا وجود لطبقة أو طائفة فيه ·

اسلامنا يعتمد على الضمير فى الانسان · ولذا لا يعرف الارهاب فى دفع الأفراد · اسلامنا يعتمد على الخشية من الله · ولذا لا يخشى طغيانا فيه ، من مجموعة على مجموعة ، للمستورد

---

(١) الحجرات : ١٣

من الغرب أو الشرق بريق • ولكنه بريق خادع ، واسلامنا هو الذهب الذى لا تتغير قيمته • ولكنا فى حاجة الى أن نزيل عنه مالابسه من سوء الفهم ، وانحراف التطبيق ، حتى يروج بين غيرنا بعد أن يسد حاجتنا ويغنينا عن التبعية لدخيل • يوم أن نكون ــ كما وصف كتاب الله المؤمنين به « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون** » (١) ــ نكون بالفعل أغنياء •

اننا باسلامنا خير أمة أخرجت للناس ، ولينا الله ورسوله والذين آمنوا « **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون • ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون** » (٢) • « **لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الأيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ، الا ان حزب الله هم المفلحون** » (٣) •

* * *

---

(١) الحجرات : ١٥ — (٢) المائدة : ٥٥ ، ٥٦
(٣) المجادلة : ٢٢

رقم الايداع ٣١١١ / ٨٢

الترقيم الدولى ٩٧٧ ـ ٧٣٣٥ ـ ٤٤ ـ